

اجعل معالجة الخطأ سهلة

تتنوع الأخطاء التي تقع من الناس كبراً وصغراً.. ومهما كان حجم الخطأ فإنه يمكن علاجه..

نعم قد لا يفيد العلاج في إصلاح ما أفسده الخطأ ١٠٠٪.. لكنه على الأقل يصلح أكثر الفاسد.. عدد غير قليل من الناس لا يسعى إلى إصلاح أخطائه لشكه في قدرته أصلاً على علاجها..

وأحياناً تكون طريقتنا في التعامل مع الأخطاء هي جزء من الخطأ نفسه.. يقع ولدي في خطأ فألومه وأحقره وأعظم عليه الخطأ حتى يشعر بأنه سقط في بئر ليس له قاع!! فيئأس من الإصلاح... ويبقى على ما هو عليه.. وقد تقع في الخطأ زوجتي أو يقع فيه صديقي... فإذا أشعرته أنه أخطأ ولكن الطريق لم ينقطع بعد فمعالجة الخطأ سهلة.. والرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل... كان هذا أكثر إصلاحاً له..

جاء رجل إلى النبي ﷺ يبأيه على الهجرة.. وقال:

إني جئت أبأيك على الهجرة.. وتركت أبواي يبيكان..

فلم يعنفه ﷺ أو يحقر فعله.. أو يصغر عقله.. فالرجل جاء بنية صالحة ويرى أنه فعل الأصح.. أشعره ﷺ أن معالجة الخطأ سهلة فقال له بكل بساطة:

ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما^(١) .. وانتهى الأمر...

(١) رواه أبو داود والنسائي وهو صحيح.

كان ﷺ يتعامل مع الناس بأساليب تُربي فيهم الرغبة في الخير وتُشعرهم أنهم إلى الخير أقرب.. حتى وإن وقعوا في أخطاء.. وبين يدي حادثة مروّعة.. الشاهد منها آخرها.. لكنني سأوردها من أولها رغبة في الفائدة..

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سافراً أقرع بين نسائه.. فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه.. فلما أراد الخروج إلى غزوة (بني المصطلق).. أقرع بينهن فخرج سهم (عائشة)...



فخرجت مع رسول الله ﷺ.. وذلك بعدما أنزل الحجاب.. وكانت تُحمل في هودج.. فإذا نزلوا نزلت من هودجها.. وقضت حاجاتها.. فإذا أرادوا الارتحال ركبت فيه..

فلما فرغ رسول الله ﷺ من غزوته.. توجه قافلاً إلى المدينة.. حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل.. ثم أذن الناس بالرحيل.. فبدأ الناس يجمعون متاعهم للرحيل..

فخرجت (عائشة) لبعض حاجتها.. وفي عنقها عقد لها فيه جزع ظفار.. فلما فرغت من حاجتها.. انسل العقد من عنقها وسقط وهي لا تدري... فلما رجعت المعسكر.. وأرادت الدخول في هودجها.. لمست عنقها فلم تجد العقد.. وقد بدأ الناس في الرحيل.. فرجعت سريعاً إلى مكانها الذي قضت فيه حاجتها.. فأخذت تبحث عنه.. وأبطأت.. وجاء القوم فحملوا هودجها وهم يظنون أنها فيه.. فاحتملوه.. فشدوه على البعير... ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به.. وسار الجيش.. أما (عائشة) فبعد بحث طويل.. وجدت العقد.. فعادت إلى مكان الجيش...

قالت عائشة: فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب... قد انطلق الناس.. فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي... فتلفضت بجلبابي... فبينما أنا جالسة في منزلي إذ غلبتني عيني فنمت.. فوالله إنني

لمضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المعطل... وكان قد تخلف عن المعسكر لبعض حاجاته... فلم يبت مع الناس.. فرأى سواد إنسان نائم... فأتاني فعرفني حين رأيته... وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علينا.. فلما رأيته قال: إنا لله وإنا إليه راجعون... طعنته رسول الله ﷺ؟ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمريت وجهي بجلبابي... ووالله ما كلمني كلمة.. ولا سمعت منه غير استرجاعه..



حتى أناخ راحلته.. فوطئ على يديها.. فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس.. فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدوني حتى أصبحنا.. فوجدناهم نازلين..

فبينما هم كذلك.. إذ طلع الرجل يقود بي البعير... فقال أهل الإفك ما قالوا.. وارتجّ المعسكر.. ووالله ما أعلم بشيء من ذلك..

ثم قدمنا المدينة.. فلم أثبت أن مرضت واشتكيت شكوى شديدة.. وأنا لا يبلغني من كلام الناس شيء.. وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبيي.. وهم لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً.. إلا أنني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي.. كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي... فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك.. بل كان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرضني قال: **كيفتيكم؟** لا يزيد على ذلك.. حتى وجدت في نفسي.. فلما رأيت جفاءه لي قلت:

◀ يا رسول الله.. لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني...

◀ قال: **لا عليك..**

فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان.. حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.. فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت خالتة (أبي بكر) ﷺ.. فوالله إنها لتمشي معي إذ تعثرت في مرطها.. وسقطت أو كادت...

◀ فقالت: تعس مسطح..

◀ قلت: بئس لعمر الله ما قلت.. تسبين رجلاً قد شهد بدراً؟

◀ فقالت: أي هنتاه.. أولم تسمعي ما قال؟ أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر..

◀ قلت: وما الخبر؟

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك..

قلت: أوقد كان هذا؟

◀ قالت: نعم والله لقد كان..

فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت.. فازددت مرضاً إلى مرضي..
فوالله ما زلت أبكي.. حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي.. وقلت لأمي:

◀ يغفر الله لك.. تحدث الناس بما تحدثوا به.. ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً..

◀ قالت: أي بنية خففي عليك الشأن.. فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء عند
رجل يحبها.. ولها ضرائر إلا كثرن.. وكثر الناس عليها..

قالت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا؟

فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت.. لا يرقأ لي دمع.. ولا أكتحل بنوم.. ثم
أصبحت أبكي..

هذا حال عائشة.. تُتهم بذلك وهي الفتاة التي لم يتجاوز عمرها خمس عشرة
سنة.. تُتهم بالزنا.. وهي العفيفة الشريفة.. زوجة أظهر الناس.. التي ما كشفت
سترها.. ولا هتكت عرضها.. هذا حالها تبكي في بيت أبيها..

أما حال رسول الله ﷺ.. فلا يبعد حزناً وهماً.. عن عائشة.. فلا جبريل
يرسل.. ولا القرآن ينزل.. ويبقى ﷺ متحيراً في أمره.. وقد كبر عليه اتهام
المنافقين.. وكلام الناس في عرض زوجته.. فلما طال الأمر عليه.. قام ﷺ في
الناس فخطبهم.. فحمد الله.. وأثنى عليه.. ثم قال:

◀ أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي... ويقولون عليهم غير الحق... والله ما علمت عليهم إلا خيراً.. يقولون ذلك لرجل.. والله ما علمت منه إلا خيراً.. ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي...

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة.. قام أمير الأوس (سعد بن معاذ) فقال:

◀ يارسول الله إن يكونوا من الأوس نكفك إياهم.. وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا أمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم...

فلما سمع ذلك أمير الخزرج (سعد بن عباد) قام.. وكان رجلاً صالحاً... لكن أخذته الحمية..

◀ قام فقال: كذبت لعمر الله.. ما تضرب أعناقهم.. أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج؟ ولو كانوا من قومك ما قلت هذا..

◀ فقال (أسيد بن حضير): كذبت لعمر الله... والله لنقتلنه.. ولكنك منافق تجادل عن المنافقين..

ثم ثار الناس بعضهم إلى بعض ... حتى كادوا أن يقتتلوا... ورسول الله ﷺ قائم على المنبر.. فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا.. وسكت... فلما رأى ﷺ ذلك.. نزل فدخل بيته...

لما رأى أن الأمر لا يمكن حله من جهة عموم الناس... أراد أن يجد حلاً من جهة أهل بيته.. وأخص الناس به... فدعا (علياً) و(أسامة بن زيد)... فاستشارهما..

◀ فأما (أسامة) فأثنى على (عائشة) خيراً وقال: يارسول الله... أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً.. وهذا الكذب والباطل...

◀ وأما علي فإنه قال: يارسول الله إن النساء لكثير.. وإنك لقادر على أن تستخلف ... وسل الجارية فإنها ستصدقك...

◀ فدعا رسول الله ﷺ (بريرة).. فقال: أي (بريرة)... هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟

◀ فقالت بريرة: لا... والذي بعثك بالحق نبياً... والله ما أعلم إلا خيراً.. وما كنت أعيب على (عائشة) شيئاً.. إلا أنها جارية حديثة السن.. فكنت أعجن عجيني... فأمرها أن تحفظه فتنام عنه.. فتأتي الشاة فتأكله..

نعم.. كيف ترى الجارية على (عائشة) ربيبة.. وهي الفتاة الصالحة التي رباهها صديق الأمة (أبو بكر).. وتزوجها سيد ولد آدم.. بل كيف تقع في ربيبة.. وهي أحب الناس إلى رسول الله.. ولم يكن ﷺ يحب إلا طيباً.. فهي البريئة المبرأة.. ولكن الله يبتليها ليعظم أجرها.. ويرفع ذكرها..

وتمضي على (عائشة) الأيام.. والآلام تلد الآلام.. وهي تتقلب على فراش مرضها.. لا تهناً بطعام ولا شراب.. وقد حاول رسول الله ﷺ أن يحل المشكلة.. بخطبة على رؤوس الناس فكادت أن تقع الحرب بين المسلمين.. وحاول أن يحلها في بيته ويسأل (علياً) و(زيداً).. فلم يخرج بشيء.. فلما رأى ذلك.. أراد أن ينهي الأمر من جهة (عائشة)...

قالت -رضي الله عنها- : وبكيت يومي ذلك لا ترقأ لي دمعة.. ولا أكتحل بنوم.. ثم بكيت ليلتي المقبلة لا ترقأ لي دمعة ولا أكتحل بنوم.. وأبواي يظنان أن البكاء فائق كبدي...

فأقبل ﷺ يحث الخطى إلى بيت (أبي بكر) فاستأذن.. ودخل عليها وعندها أبوها وأمها.. وامرأة من الأنصار.. وهي أول مرة يدخل فيها بيت (أبي بكر).. منذ قال الناس ما قالوا.. وما رأى (عائشة) منذ قرابة الشهر.. وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شيء في شأن (عائشة)...

دخل ﷺ على (عائشة).... فإذا طريحة الفراش.. وكأنها فرخ منتوف من شدة البكاء والهم.. وإذا هي تبكي.. والمرأة تبكي معها.. لا يملكان من الأمر شيئاً.. فجلس رسول الله ﷺ... فحمد الله وأثنى عليه.. ثم قال:

◀ أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا..

وذكر ﷺ خبر الإفك.. ما أشيع من وقوعها في خطأ كبير.. ثم أراد ﷺ أن يُبين لها أن الإنسان مهما وقع في خطأ فإن معالجة هذا الخطأ ليست صعبة.. فقال لها:

فإن كنت بريئة فسيبرئك الله عز وجل.. وإن كنت ألممت بذنب.. فاستغفري الله عز وجل وتوبي إليه..
فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب.. تاب الله عليه..

هكذا... حل سهل للخطأ - إن كان قد وقع - دون تعقيد وتطويل...

قالت عائشة: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته.. قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة.. وانتظرت أبوي أن يجيئا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما..

◀ فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال..

◀ فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ..

◀ فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله ﷺ..

◀ فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!

ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام... فلما استعجما عليّ... استعبرت فيكيت؟ ثم قلت:

◀ لا... والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً.. إني والله قد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به.. ولئن قلت لكم إني بريئة - والله عز وجل يعلم إني بريئة لا تصدقوني... وإن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أنني بريئة - تصدقوني.. وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(١)

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي.. وأنا والله أعلم أنني بريئة وأن الله مبرئي براءتي.. ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى... ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله بي بأمر يتلى... ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله عز وجل بها.. فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه.. ولا خرج من أهل البيت أحد..



حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه.. وأنزل الله على نبيه... فأما أنا حين رأيته يوحى إليه.. فوالله، ما فرغت.. وما باليت.. قد عرفت أنني بريئة.. وأن الله غير ظالمي.. وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده.. ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما... فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس..

فلما سُرِّي عنه ﷺ.. فإذا هو يضحك.. فجعل يمسح العرق عن وجهه... وكان أول كلمة تكلم بها أن قال:

◀ أبشري يا عائشة قد أنزل الله عز وجل براءتك..

◀ فقلت: الحمد لله..

وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢﴾ تَوَلَّى جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾

وتوعد الله أولئك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس.. فخطبهم... وتلا عليهم ما أنزل الله من القرآن في ذلك.. ثم أقام حد القذف على من قذف...

إذن... ينبغي أن تتعامل مع المخطئ على أنه مريض يحتاج إلى علاج.. لا أن تبالغ في كفته وتعنيفه.. لأنه قد يصل إلى درجة يشعر معها أنك فرح بهذا الخطأ.. والطبيب الناصح هو الذي يهتم بصحة مرضاه أكثر من اهتمامهم هم بأنفسهم..

قال ﷺ: إنما مثلي ومثل الناس.. كمثل رجل استوقد ناراً.. فلما أضاءت ما حوله.. جعل الفُراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها.. فجعل ينزعهن.. ويغلبنه فيقتحمهن فيها!! فأنا أخذٌ بحجزكم عن النار.. وأنتم تقحمون فيها..



الرأي الآخر



كما أن الناس يختلفون في طباعهم وأشكالهم.. كذلك هم يختلفون في وجهات نظرهم.. وفي قناعاتهم وتصرفاتهم.. فإذا شعرت أن أحداً خالف الصواب.. ونصحتة وحاولت إصلاح خطئه ولم يقتنع.. فلا تصنف اسمه من بين أعدائك.. وخذ الأمور بأريحية قدر المستطاع..

فلو حاولت إصلاح خطأ عند أحد زملائك فلم يستجب.. فلا تقلب الصداقة عداوة.. وإنما استمر في التلطف فلعله أن يبقى على خطئه ولا يزيد. وقد قيل: حنانك بعض الشرر أهون من بعض.. إذا تعاملت مع الناس بهذه الأريحية... فلم تغضب على كل صغيرة وكبيرة.. عشت سعيداً..

قالت عائشة - رضي الله عنها - : ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط... وما ضرب شيئاً قط بيده.. ولا امرأة... ولا خادماً... إلا أن يجاهد في سبيل الله.. - وما نيل منه شيء قط.. فينتقم من صاحبه.. إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله..^(١) . إذن.. كان ﷺ يغضب.. لكنه غضبه لله... لا يغضب لنفسه.. وحتى نفهم الفرق بين الغضبين:



- افرض أن ولدك الصغير جاءك ذات صباح وطلب ريالاً أو ريالين مصروفاً للمدرسة.. فبحثت في محفظة نقودك.. فلم تجد إلا فئة الخمسمائة ريال.. فاعطيتها له.. وقلت: هذه خمسمائة ريالاً.. اصرف منها ريالين.. وأرجع الباقي.. وأكدت عليه وكررت..

(١) رواه مسلم.

فلما رجع بعد الظهر فإذا المال كله قد صرفه.. فماذا ستفعل؟ .. وكيف سيكون غضبك؟.. قد تضرب وتعنف وتمنعه من مصروفه أياماً..



- لكن لو رجعت مرة من صلاة العصر ووجدته يلعب بالكمبيوتر.. أو عند التلفاز... ولم يصل في المسجد...

فهل ستغضب كغضبك الأول؟

أظننا نتفق أن غضبنا الأول سيكون أشد وأطول وأكثر تأثيراً من غضبنا الثاني..

أما رسول الله ﷺ فكان غضبه لله... وكان يعرض النصيحة أحياناً ولا تقبل... فيأخذ الأمر بهدوء... فالهداية بيد الله...

قدم رسول الله ﷺ إلى تبوك على حدود الشام.. اقترب من مملكة الروم.. فبعث (دحية الكلبي) ﷺ رسولاً إلى (هرقل) ملك الروم.. وصل (دحية) ﷺ إلى (هرقل).. دخل عليه... ناوله كتاب رسول الله ﷺ.. فلما أن رأى (هرقل) الكتاب دعا قسيسي الروم وبطارقتها.. ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال:

◀ قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم.. وقد أرسل إليّ أن يدعوني إلى ثلاث خصال... يدعوني:

١- أن اتبعه على دينه..

٢- أو على أن نعطيه مائنا على أرضنا والأرض أرضنا..

٣- أو نلقي إليه الحرب...

ثم قال (هرقل): والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن أرضنا... فهلم فلنتبعه على دينه.. أو نعطيه مائنا على أرضنا...

فلما سمع القساوسة ذلك.. ورأوا أنه يدعوهم لترك دينهم! غضبوا... ونخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم.. أي سقطت أرديتهم من شدة الغضب والانتفاض!! قالوا:

◀ تدعونا إلى أن نذر النصرانية... أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز...!

أسقط في يد هرقل... وأيقن أنه تورط بعرضه عليهم... وكان هؤلاء القساوسة لهم سطوة وجمهور قوي... فعلم (هرقل) أنهم إن خرجوا من عنده.. أفسدوا عليه الروم.. فجعل يهدئهم... ويقول:

◀ إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم...

كان (هرقل) يعلم أن النبي ﷺ هو الرسول الذي بشر به (عيسى) ﷺ.. فأراد أن يتأكد من ذلك.. دعا (هرقل) رجلاً من عرب قبيلة (تجيب)... كان من نصارى العرب... قال له:

◀ ادع لي رجلاً حافظاً للحديث... عربي اللسان.. أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه..

مضى ذاك التجيبي.. وجاء برجل من بني تنوخ... من نصارى العرب.. دفع (هرقل) كتاباً لهذا التنوخي ليوصله لرسول الله ﷺ... وقال له:

◀ اذهب بكتابي إلى هذا الرجل... فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال:

١- انظر هل يذكر صحيفته إلى التي كتب بشيء؟

٢- وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل؟

٣- وانظر في ظهره هل به شيء يريبك؟

مضى (التنوخي) مفارقاً للشام... حتى وصل إلى (تبوك).. فإذا رسول الله ﷺ جالس بين ظهرائي أصحابه... محتبياً على الماء.. فوقف (التنوخي) عليهم..

◀ وقال: أين صاحبكم؟

◀ قيل: ها هو ذا..

فأقبل يمشي حتى جلس بين يديه.. فناوله كتاب (هرقل)... فأخذه ﷺ... فوضعه في حجره..

◀ ثم قال: ممن أنت؟

◀ قال: أنا أخو تنوخ..

◀ فقال ﷺ: «هل لك إلى الإسلام.. الحنيفية.. ملّة أبيك إبراهيم؟



كان ﷺ راغباً في دخول هذا الرجل في الإسلام... في الحقيقة لم يكن هناك ما يمنع (التنوخي) من اتباع الحق... إلا التعصب لدين قومه.. فحسب!! فقال (التنوخى) بكل صراحة:

◀ إني رسول قوم.. وعلى دين قومي.. لا أرجع

عنه حتى أرجع إليهم..

فلما رأى ﷺ هذا التعصب.. لم يغضب.. ولم يعمل مشكلة.. وإنما ضحك وقال:

◀ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١)

ثم قال ﷺ بكل هدوء: يا أخا تنوخ.. إني كتبت بكتاب إلى (كسرى) فمزقه والله ممزقه وممزق ملكه.. وكتبت إلى (النجاشي) بصحيفة فخرقها والله مخرق ملكه.. وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها.. فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير..

تذكر (التنوشي) وصية (هرقل).. وقال في نفسه: **هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي.. فخشي أن ينساها.. فأخذ سهماً من جعبته فكتبها في جنب سيفه.. ثم إن رسول الله ﷺ ناول الصحيفة رجلاً عن يساره..**

◀ فقال (التنوشي): **من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟**

◀ قالوا: (معاوية)..

بدأ (معاوية) ﷺ يقرأ... فإذا (هرقل) قد كتب إلى النبي ﷺ:

«تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين!! فأين النار؟»..

فقال ﷺ: **سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار!!**

فانتبه (التنوشي) أن هذه الثانية التي أمره (هرقل) بترقبها.. فأخذ سهماً من جعبته فكتبه في جلد سيفه.. فلما أن فرغ (معاوية) من قراءة الكتاب... التفت ﷺ إلى (التنوشي)... الذي لم يقبل النصيح.. ولم يدخل في الدين...

◀ وقال له متلطفاً: **إن لك حقاً وإنك لرسول...**

فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها...

إننا سفر مرملون..



يعني أتمنى أن أعطيك هديّة... لكننا كما

ترانا مسافرين جالسين على الرمال!!

◀ فقال (عثمان) ﷺ: **أنا أجوزه يا رسول الله.. ثم قام (عثمان) ففتح رحله..**

فأتى بحلة ولباس فوضعها في حجر (التنوشي)..

◀ ثم قال ﷺ الكريم: **أيكم ينزل هذا الرجل؟..**

يعني يقوم بحق ضيافته!!

◀ فقال فتى من الأنصار: **أنا..**



فقام الأنصاري وقام (التنوشي) يمشي معه.. وباله مشغول بالأمر الثالث الذي امره (هرقل) أن يتأكد له منه... وهو خاتم النبوة بين كتفي النبي ﷺ.. مشى (التنوشي) خطوات.. وفجأة... إذا برسول الله ﷺ يصيح به:

◀ تعال يا أخا تنوخ...!!

فأقبل التنوشي يهوي مسرعاً.. حتى قام بين يدي النبي ﷺ.. فحلّ ﷺ حبوته.. ثم أسقط رداه عن ظهره.. فانكشف ظهره للتنوشي... فقال ﷺ: هاهنا.. امض لما أمرت به..

قال التنوشي: فنظرت في ظهره.. فإذا أنا بخاتم في موضع غصون الكتف مثل الحجمة الضخمة..^(١)



(١) في مسند أحمد.. بإسناد قال فيه ابن كثير لا بأس به... سيرة ابن كثير ٢٧/٤

قابل الإساءة بالإحسان



عندما تتعامل مع الناس فإنهم يعاملونك في الغالب على ما يريدون هم .. لا على ما تريد أنت... فليس كل من قابلته ببشاشة بادللك ببشاشة مثلها.. فبعضهم قد يغضب ويسيء الظن ويسألك، مم تضحك؟! ولا كل من أهديت له هدية.. رد لك مثلها.. فبعضهم قد تُهدي إليه ثم يفتاك في المجالس ويتهمك بالسفه وتضييع المال...!! ولا كل من تفاعلت معه في كلامه.. أو أثنت عليه وتلطفت معه في عباراتك قابلك بمثلها.. فإن الله قَسَمَ الأخلاق كما قَسَمَ الرزاق..

والمنهج الرباني هو: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١) وبعض الناس لا حل له ولا إصلاح إلا أن تتعامل معه بما هو عليه.. فتصبر عليه أو تفارقه..

ذُكر أن (أشعب) سافر مع رجل من التجار.. وكان هذا الرجل يقوم بكل شيء من خدمة وإنزال متاع وسقي دواب... حتى تعب وضجر.. وفي طريق رجوعهما.. نزلا للغداء.. فأناخا بعيريهما ونزلا.. فأما (أشعب) فتمدد على الأرض.. وأما صاحبه فوضع الفرش... وأنزل المتاع... ثم التفت إلى (أشعب) وقال:

﴿ قُمْ اجمع الحطب وأنا أقطع اللحم..

﴿ فقال أشعب: أنا والله متعب من طول ركوب الدابة..

﴿ فقام الرجل وجمع الحطب... ثم قال: يا أشعب! قُمْ أشعل الحطب...

﴿ فقال: يؤذيني الدخان في صدري إن اقتربت منه..



- ◀ فأشعلها الرجل.. ثم قال: يا أشعب! قم ساعدني لأقطع اللحم...
- ◀ فقال: أخشى أن تصيب السكين يدي...
- فقطّع الرجل اللحم وحده..
- ◀ ثم قال: يا أشعب! قم ضع اللحم في القدر واطبخ الطعام..
- ◀ فقال: يتعبني كثرة النظر إلى الطعام قبل نضوجه..
- فتولى الرجل الطبخ والنفخ.. حتى جهز الطعام وقد تَعَبَ.. فاضطجع على الأرض..
- ◀ وقال: يا أشعب! قم جهز سُفرة الطعام.. وضع الطعام في الصحن..
- ◀ فقال أشعب: جسمي ثقيل ولا أنشط لذلك..
- فقام الرجل وجهز الطعام ووضعه على السفرة..
- ◀ ثم قال: يا أشعب! قم شاركني في أكل الطعام...
- ◀ فقال أشعب: قد استحييت والله من كثرة اعتذاري وها أنا أطيعك الآن.. ثم قام وأكل!!
- فقد تلاقي من الناس من هو مثل (أشعب).. فلا تحزن.. وكُن جبلاً..
- كان المربي الأول ﷺ يتعامل مع الناس بعقله لا بعاطفته.. كان يتحمل أخطاء الآخرين ويرفق بهم.. وانظر إليه ﷺ وقد جلس في مجلس مبارك يحيط به أصحابه.. فيأتيه أعرابي يستعينه في دية قتيل.. أي: هذا الرجل قد قتل - هو أو غيره - رجلاً.. فأقبل يريد من النبي ﷺ أن يعينه بمال يؤديه إلى أولياء المقتول.. فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً..

◀ ثم قال تلطفاً معه: أحسنت إليك؟

◀ قال الأعرابي: لا.. لا أحسنت ولا أجملت..

فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه.. فأشار النبي ﷺ إليهم أن كفوا.. ثم قام ﷺ إلى منزله.. ودعا الأعرابي إلى البيت..

◀ فقال له: إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك.. فقلت ما قلت..

ثم زاده ﷺ شيئاً من مال وجده في بيته..

فقال: أحسنت إليك؟

◀ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً..

فأعجبه ﷺ هذا الرضا منه.. لكنه خشي أن يبقى في قلوب أصحابه على الرجل شيء.. ففراهم في طريق أو سوق.. فلا يزال حاقداً عليه.. فأراد أن يسأل ما في صدورهم..

◀ فقال له النبي ﷺ: إنك كنت جئتنا فأعطيناك.. فقلت ما قلت.. وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء.. فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي.. حتى يذهب عن صدورهم..

فلما كان الغداة أو العشي جاء الأعرابي.. فقال ﷺ:

◀ إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال.. وأنا قد دعوناه فأعطيناه.. فزعم أنه قد رضي.. ثم التفت إلى الأعرابي وقال: أكذاك؟

◀ قال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً..

فلما هم الأعرابي أن يخرج إلى أهله.. أراد ﷺ أن يعطي أصحابه درساً في كسب القلوب.. فقال لهم:

◀ إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه.. فاتبعها الناس.. يعني يركضون وراءها ليمسكوها.. وهي تهرب منهم فرعاً.. ولم يزيدها إلا نفوراً.. فقال صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي.. فأنا أرفق بها وأعلم بها.. فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قشام الأرض.. ودعاها.. حتى جاءت واستجابت.. وشدَّ عليها رحلها.. واستوى عليها.. ولو أنني أطعتمكم حيث قال ما قال.. دخل النار.. يعني لو طردتموه.. لعله يرتد عن الدين.. فيدخل النار..^(١)

وما كان الرفق في شيء إلا زانه.. وما نزع من شيء إلا شانه..

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢)



ذكر أنه ﷺ لما فتح مكة.. جعل يطوف بالبيت.. فأقبل (فضالة بن عمير).. رجل يُظهر الإسلام.. فجعل يطوف خلف النبي ﷺ.. ينتظر منه غفلة.. ليقتله!! فلما دنا من النبي ﷺ.. انتبه ﷺ إليه.. فالتفت إليه وقال:

◀ أفضالة!!

◀ قال: نعم.. فضالة يا رسول الله..

◀ قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟

◀ قال: لا شيء.. كنت أذكر الله..!!

◀ فضحك النبي ﷺ.. ثم قال: استغفر الله..

(١) الحديث رواه البزار وفي سنده مقال.

(٢) فصلت: ٣٤



قال فضالة: ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدري.. فسكن قلبي.. فوالله ما رفع رسول الله ﷺ يده عن صدري.. حتى ما خلق الله شيئاً أحب إليّ منه..

ثم رجع فضالة إلى أهله.. فمَرَّ بامرأة كان يُجالسها.. ويتحدث إليها.. فلما رآته.. قالت: **هَلُمْ إلى الحديث.. فقال: لا.. ثم قال..**

يأبى عليك الله والإسلام
بالتفح يوم تُكسر الأضنام
والشرك يغشى وجهه الإظلام

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا
لوما رأيت محمداً وقبيله
لرأيت دين الله أضحى بيننا

وكان فضالة بعده من صالحى المسلمين..

كان ﷺ يملك قلوب الناس بالعضو عنهم.. يتحمل الأذى في سبيل التأثير فيهم.. وجرهم إلى الخير..

كان (أبوطالب) يكف عن النبي ﷺ كثيراً من أذى قريش.. فلما مات (أبوطالب).. ضيقت قريش كثيراً على النبي ﷺ في مكة.. ونالت منه ما لم تكن نالت منه في حياة عمه (أبي طالب).. فجعل ﷺ يفكر في مكان آخر يلجأ إليه.. يجد فيه النصرة والتأييد.. فخرج إلى الطائف يلتمس من قبيلة ثقيف النصرة والمنعة..

دخل الطائف.. فتوجه إلى ثلاثة رجال هم سادة ثقيف وأشرافهم.. وهم أخوة ثلاثة: (عبد ياليل بن عمرو).. وأخوه (مسعود).. و(حبيب).. جلس إليهم.. دعاهم إلى الله.. كلمهم من أجل نصرته على الإسلام.. والقيام معه على من خالفه من قومه.. فكان ردهم بذيئاً!!

◀ أما أحدهم فقال: أنا أمرط ثياب الكعبة.. إن كان الله أرسلك!!

◀ وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟!

وجعل الثالث يبحث متحذلقاً عن عبارة يرد بها.. حرص على أن تكون أبلغ من كلام صاحبيه..

◀ فقال: والله لا أرد عليك أبداً.. لئن كنت رسولاً من الله كما تقول.. لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام.. ولئن كنت تكذب على الله.. فما ينبغي لي أن أكلمك..

فقام ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف.. وخشي أن تعلم قريش أنهم ردوه.. فيزدادون أذى له..

◀ فقال لهم: إن فعلتم كما فعلتم.. فاكتموا عليّ..



فلم يفعلوا.. بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم.. فجعلوا يركضون وراء رسول الله ﷺ.. يسبونهم ويصيحون به.. وقد اصطفوا صفين.. وهو يسرع الخطى بينهم.. وكلما رفع رجلاً رضخوها بالحجارة.. وهو ﷺ يحاول.. أن يسرع في خطاه ليتقي ما يرمونه به من حجارة..

وجعلت قدماه الشريفتان ﷺ تسيلان بالدماء.. وهو الكهل الذي جاوز الأربعين.. فأبعد عنهم.. ومشى.. ومشى.. حتى جلس في موضع آمن يستريح.. تحت ظل نخلة.. وهو منشغل البال.. كيف ستستقبله قريش.. كيف سيدخل مكة.. فرفع طرفه إلى السماء وقال:

اللهم إليك أشكو ضعف قوتي.. وقلة حيلتي.. وهواني على الناس.. يا أرحم الراحمين.. أنت رب المستضعفين.. وأنت ربي.. إلى من تكلني! إلى بعيد يتجهمني.. أم إلى عدو ملكته أمري! إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي.. ولكن عافيتك هي أوسع لي.. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات.. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة.. من أن تنزل بي غضبك.. أو تحل عليّ سخطك.. لك العتبى حتى ترضى.. ولا حول ولا قوة إلا بك..

فبينما هو كذلك.. فإذا بسحابة تظله ﷺ.. وإذا فيها (جبريل) عليه السلام.. فناداه:

◀ يا (محمد).. إن الله قد سمع قول قومك لك.. وما ردوا عليك.. وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

◀ وقبل أن ينطق ﷺ بكلمة.. ناداه ملك الجبال: السلام عليك يا رسول الله.. يا (محمد).. إن الله قد سمع قول قومك لك.. وأنا ملك الجبال.. قد بعثني إليك ربك لتأمرني ما شئت..

ثم قبل أن ينطق ﷺ أو يختار.. جعل ملك الجبال يعرض عليه.. ويقول: إن شئت تطبق عليهم الأخشبين.. وهما جبلان عظيمان في جانبي مكة.. وجعل ملك الجبال ينتظر الأمر.. فإذا به ﷺ يطاء على حظوظ النفس.. وشهوة الانتقام.. ويقول:

◀ بل.. أستأني بهم.. فإنني أرجو أن يخرج الله من أصلاهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً..

كُن بطلاً..

وإن النفي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جداً
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم معجداً
وليسوا إلى نصري سراعاً
وإن هم دعوني إلى نصرأتيتهم شداً
ولا أعمل الحق القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يعمل الحق